

السلوك البيئي: من الوعي الفردي إلى الفعل الجماعي

Environmental Behavior: From Individual Awareness to Collective Action

بوطومو وافية¹، غليط شافية²¹ جامعة عبد الحميد مهري (الجزائر)،chafia.ghellit@univ-constantine2.dz² جامعة عبد الحميد مهري (الجزائر)،chafia.ghellit@univ-constantine2.dz

تاريخ الاستلام: 2026/01/04 تاريخ القبول: 2026/04/30 تاريخ النشر: 2026/06/01

ملخص:

يتناول هذا المقال مفهوم السلوك البيئي باعتباره انعكاسا لمدى وعي الأفراد بالبيئة وقدرتهم على تحويل هذا الوعي إلى ممارسات عملية. تمت مناقشة أبرز العوامل المؤثرة فيه، كالمعرفية والاجتماعية والنفسية والسياسية، مع إبراز أنماطه بين الممارسات الإيجابية والسلبية. يركز المقال على أهمية الانتقال من الوعي الفردي إلى الفعل الجماعي المنظم، باعتباره شرطا أساسيا لحماية الموارد الطبيعية، تعزيز الصحة العامة، وتحقيق التنمية المستدامة. كما يقترح استراتيجيات لتعزيز السلوك البيئي تشمل التربية البيئية، الإعلام، المشاركة المجتمعية، والتشريعات الداعمة. ويخلص إلى أن السلوك البيئي لم يعد مجرد مبادرة فردية، بل فعل جماعي يتطلب تكامل الوعي والقيم والسياسات لتحقيق استدامة حقيقية.

كلمات مفتاحية: السلوك البيئي، الوعي البيئي، التربية البيئية، الفعل الجماعي، التنمية المستدامة

Abstract:

This article addresses the concept of environmental behavior as a reflection of individuals' awareness of the environment and their ability to transform this awareness into concrete practices. It discusses the main influencing factors – cognitive, social, psychological, and political – while highlighting both its positive and negative forms. The focus is placed on the importance of moving from individual awareness to organized collective action, as a key condition for protecting natural resources, improving public health, and achieving sustainable development. The article also proposes strategies to promote environmental behavior, including environmental education, media engagement, community participation, and supportive legislation. It concludes that environmental behavior is no longer merely an individual initiative but a collective act requiring the integration of awareness, values, and policies to achieve true sustainability.

Keywords: Environmental behavior, environmental awareness, environmental education, collective action, sustainable development.

1. مقدمة

يشهد العالم في العقود الأخيرة ازمات بيئية متسارعة تتجلى في التغيرات المناخية، تلوث الهواء والماء، تدهور الأراضي الزراعية، ندرة الموارد الطبيعية. وتشير الدراسات الحديثة الى ان العامل البشري يمثل المساهم الأكبر في تفاقم هذه الازمات، نتيجة أنماط الاستهلاك المفرط والإنتاج غير المستدام التي فرضت ضغوطا متزايدة على النظم البيئية. وفي ظل التحديات لم يعد التعامل مع البيئة مسألة تقنية او اقتصادية فحسب، بل أصبح قضية سلوكية وقيمية في المقام الأول، حيث ترتبط بمدى وعي الافراد والجماعات بأهمية البيئة، وبمسؤوليتهم في الحفاظ على توازنها واستدامتها. ويعد السلوك البيئي التعبير العملي عن علاقة الانسان ببيئته، اذ يتجسد في الممارسات اليومية مثل ترشيد استهلاك الماء والطاقة، والتقليل من النفايات، إعادة التدوير، والمساهمة في حماية الفضاءات الطبيعية. فهو ليس مجرد استجابة ظرفية أو رد فعل مؤقت، بل انعكاس مباشر لمدى ما يمتلكه الفرد من وعي بيئي يمكنه من الربط بين أفعاله الشخصية والقضايا البيئية العالمية. ومن ثم يمثل الوعي الفردي الخطوة الأولى والاساسية في بناء سلوك بيئي إيجابي، كونه يتيح الانتقال من الادراك النظري للمخاطر الى الفعل العملي. غير ان هذا الوعي الفردي على أهميته، لا يكفي لمواجهة التحديات البيئية المتزايدة والمعقدة، اذ تبرز الحاجة الى الفعل الجماعي كإطار أوسع وأكثر فعالية. فالانتقال من المبادرات الفردية المحدودة إلى الممارسات الجماعية المنظمة يجعل من السلوك البيئي قيمة مشتركة تبنى داخل الأسرة، وتعزز في المدرسة، ويكرسها الإعلام، وتدعمها التشريعات والسياسات العامة. وهكذا يصبح السلوك البيئي حلقة وصل مركزية بين الوعي الفردي كمنطلق اولي للتغيير والفعل الجماعي كضمانة لترسيخ ثقافة بيئية مستدامة تسهم في حماية الموارد الطبيعية وضمان استمراريتها، ولا يكفي الوعي الفردي وحده لضمان حماية البيئة، إذ يبقى تأثيره محدودا إذا لم يتحول إلى ممارسة جماعية تستند إلى التعاون والتنسيق بين الأفراد. فالبيئة مجال مشترك، وأي خلل فيها يؤثر على الجميع دون استثناء. لهذا أصبح الفعل الجماعي ضرورة تفرضها طبيعة التحديات البيئية التي تتجاوز قدرات الأفراد. ويظهر الفعل الجماعي في أشكال متعددة تبدأ من المبادرات البسيطة داخل الأقسام المدرسية أو الأحياء السكنية، وصولا إلى البرامج التربوية والمشاريع المجتمعية الكبرى التي تهدف إلى تعزيز السلوك البيئي الإيجابي وضمان استدامة الموارد. (Hungerford 1990). وإن التحديات البيئية الراهنة تكشف أن السلوك البيئي لم يعد مجرد خيار فردي، بل قضية مجتمعية تتطلب مقاربة شمولية تزواج بين الوعي الفردي والممارسة الجماعية، فالوعي بالبيئة لا يكتمل إلا إذا ترجم إلى ممارسات ملموسة، سواء في سلوك الطفل داخل مدرسته أو في ممارسات الأسرة والمجتمع المحلي. ومن هنا تبرز الحاجة إلى دراسة السلوك البيئي في بعده الفردي والجماعي، باعتباره انعكاسا لمنظومة القيم والمعارف التي يكتسبها الافراد، وفي الوقت ذاته مؤشرا على قدرة المجتمع على مواجهة التحديات البيئية. بناء على ما سبق نطرح التساؤل التالي:

الى أي مدى يمكن ان يشكل الوعي الفردي قاعدة أساسية لبناء سلوك إيجابي، وكيف يمكن ان يتعزز هذا السلوك عبر الانتقال من المبادرات الفردية الى الفعل الجماعي بما يضمن حماية البيئة وترسيخ ثقافة الاستدامة؟ تهدف هذه الدراسة الى:

- ✓ توضيح مفهوم السلوك البيئي وأبعاده النظرية في ضوء التحول من الوعي الفردي إلى الفعل الجماعي.
- ✓ تحديد أبرز العوامل المؤثرة في السلوك البيئي (المعرفية، النفسية، الاجتماعية، الثقافية، والاقتصادية-السياسية).
- ✓ إبراز العلاقة بين الوعي الفردي والمسؤولية الجماعية في بناء سلوك بيئي.

✓ تحليل دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية في تحويل الوعي الفردي إلى ممارسة جماعية منظمة.

2. السلوك والوعي البيئي

1.2 السلوك البيئي: يعد ما يسمى بالسلوك البيئي أو السلوك المؤيد للبيئة أحد مجالات الاهتمام في علم النفس لذا فان السلوك البيئي بالمعنى الضيق هو السلوك الذي له تأثير كبير على البيئة، ووفقا لعلم البيئة السلوك البيئي هو السلوك الذي يحكم عليه عموما في سياق المجتمع المعني بأنه سلوك بيئي وقائي.

وجاء في الادبيات التربوية والاجتماعية، بانه الاستجابة الكلية الحركية والضرورية التي يقوم بها الكائن الحي كنتيجة للموقف الذي يواجهه. (احمد كرم، 2004)

وفي دراسة لخيرية سعيد 2004 ان السلوك البيئي هو كل التصرفات اللائقة وغير اللائقة، حيث يكون لائقا عندما تكون التصرفات والتعامل الصحيح مع الموارد والعناصر البيئية مرغوب فيها، ويكون غير لائق عندما تكون التصرفات خاطئة وتسهم في افساد البيئة. وجاء مفهوم السلوك البيئي في دراسة للظاهر 2014 على النحو التالي هو كل ما يصدر من الفرد من أفعال وتصرفات وممارسات، ظاهرة كانت ام باطنة، عقلية معرفية، مزاجية انفعالية، نفسية حركية، حيوية عصبية، فيزيولوجية، استجابة للسياق الذي يعمل او يتفاعل معه او يعيش فيه، وقد استندت الدراسة كذلك في تعريفها للسلوك البيئي على قاموس البيئة الصادر سنة 1998 ان السلوك البيئي هو استجابة الكائن الحركية او المنظورة للمؤثرات الخارجية البيئية التي تتراوح بين الاستجابة التلقائية المبرمجة جينيا في الكائنات الدنيا الى استجابة التي تخضع للتجربة والتعلم في الحيوانات الدنيا. وعليه يمكن تعريف السلوك البيئي بانه: مجموعة من الأفعال والممارسات الواعية والمسؤولة، فردية كانت أو جماعية، تهدف إلى حماية البيئة وصون مواردها الطبيعية، من خلال الوقاية من التلوث، ترشيد استهلاك الطاقة والمياه، إعادة التدوير، والتكيف مع التغيرات المناخية، بما يعكس التزاما بالقيم البيئية والتنمية المستدامة.

2.2 ابعاد السلوك البيئي: عند العودة إلى ما طرحه الفسفوس (2006) حول أبعاد السلوك الإنساني، نجد أنه قد حددها في أربعة أبعاد رئيسية تمثلت في البعد البشري، البعد الأخلاقي، البعد الزماني والمكاني، والبعد الاجتماعي. غير أن هذه الأبعاد يمكن أيضا أن تطبق على السلوك البيئي، باعتباره أحد أنماط السلوك الإنساني. فالسلوك البيئي هو أولا سلوك بشري صادر عن قوة عاقلة واعية تقوده قرارات الإنسان واختياراته، وهو ثانيا ذو بعد أخلاقي، إذ يرتبط بمجموعة من القيم والمعايير التي تضبط علاقة الفرد بالبيئة مثل احترام الطبيعة وعدم الإضرار بها. كما أن للسلوك البيئي يعد بعدا زمانيا ومكانيا، حيث إن أفعاله لا تنحصر في لحظة وقوعها بل تمتد آثارها إلى المستقبل، كما تتجاوز المكان الضيق إلى الفضاء الأوسع للبيئة المحيطة، وأخيرا يتسم السلوك البيئي ببعد اجتماعي واضح، إذ يتأثر بثقافة الجماعة وقوانينها وضغوطها، ويتجلى في أنماط المشاركة المجتمعية كحملات التشجير أو فرز النفايات. وبذلك فإن إسقاط الأبعاد العامة للسلوك الإنساني على المجال البيئي يكشف أن هذا الأخير لا ينفصل عن الأسس النفسية والاجتماعية والأخلاقية التي تحكم السلوك البشري عموما، بل يكتسب خصوصيته من خلال علاقته المباشرة بالطبيعة والموارد والبيئة المستدامة.

ينظر إلى السلوك البيئي في الأدبيات التربوية والنفسية باعتباره سلوكا متعدد الأبعاد، يعكس تفاعل الفرد مع بيئته الطبيعية والاجتماعية على مستويات مختلفة. وقد استقر الرأي لدى العديد من الباحثين أمثال (Rosenberg & Hovland, 2002) (Kollmuss & Agyeman, 1987) (Hines et al, 1960). على أن هذا السلوك البيئي يقوم على ثلاثة أبعاد رئيسية هي: البعد المعرفي، والوجداني، والسلوكي . البعد المعرفي يتعلق هذا البعد بكل ما يكتسبه الفرد من معارف ومفاهيم ومعلومات عن

البيئة ومكوناتها، وعن المشكلات البيئية وأسبابها وطرق معالجتها، فالمعرفة تشكل الأساس الذي يبنى عليه السلوك، إذ يصعب توقع ممارسات بيئية إيجابية من فرد يفتقر إلى المعلومات الصحيحة، فمثلا معرفة الطالب بخطورة النفايات البلاستيكية على النظم البيئية البحرية تمكنه من إدراك أهمية تقليل استخدامها والمشاركة في إعادة تدويرها. في حين البعد الوجداني يتمثل في الاتجاهات والقيم والمشاعر التي يكونها الفرد نحو البيئة، فالوعي المعرفي وحده لا يكفي لتوليد سلوك بيئي إيجابي ما لم يقترن بمستوى عاطفي يعبر عن حس المسؤولية والارتباط بالبيئة، فالقلق من آثار التغير المناخي، أو الشعور بالانتماء للطبيعة، أو تنمية قيم المحافظة على الموارد الطبيعية هي أمثلة على هذا البعد، وتشير الدراسات إلى أن تنمية الاتجاهات البيئية الإيجابية في المراحل العمرية المبكرة تساعد على تعزيز الالتزام بالممارسات البيئية السليمة. في المستقبل. فالبعد السلوكي يمثل الجانب التطبيقي أي ما يقوم به الفرد فعليا من ممارسات لحماية البيئة وصونها، ويشمل سلوكيات بسيطة كترشيد استهلاك المياه والكهرباء، أو تجنب رمي القمامة في الأماكن العامة، إلى جانب ممارسات أكثر تنظيما مثل المشاركة في الحملات التطوعية للتشجير أو إعادة التدوير، هذا البعد يعد التجسيد العملي لما يملكه الفرد من معرفة وما يختزنه من اتجاهات وقيم، وبالتالي يعتبر المؤشر الأكثر وضوحا على مستوى السلوك البيئي.

من المهم التأكيد على أن هذه الأبعاد الثلاثة ليست منفصلة، بل هي متداخلة ومتراصة بشكل متكامل، فالمعرفة تساهم في بناء الاتجاهات، وتدفع إلى تبني السلوكيات العملية، وفي المقابل الممارسة العملية قد تعزز من الاتجاهات، وتزيد من رغبة الفرد في تعميق معارفه، لذا فإن أي برنامج تربوي أو سياسات بيئية تستهدف تعديل السلوك لا بد أن تراعي هذه الأبعاد معا لضمان فعاليتها

2 الوعي البيئي: يعرف الوعي البيئي بأنه إدراك الفرد لعناصر البيئة الطبيعية، والمشكلات التي تهددها، والمسؤوليات المترتبة على أفعالها تجاهها. (UNEP, 2019) ويتجاوز الوعي البيئي المعرفة البسيطة بالمخاطر البيئية ليشمل الفهم العميق للعلاقات بين الأنظمة البيئية المختلفة، والتفاعل بين الإنسان والطبيعة، وآثار النشاطات البشرية على استدامة الموارد، بهذا المعنى يشكل الوعي البيئي الأساس المعرفي الذي يبنى عليه الفرد مواقفه، اتجاهاته، ونواياه البيئية، ويعد خطوة تمهيدية ضرورية قبل الانتقال إلى سلوكيات ملموسة تؤثر إيجابيا على البيئة.

ووفقا لنموذج (Hungerford & Volk 1990) للعوامل الرئيسية للسلوك البيئي، يعد الوعي البيئي أحد المتغيرات التمهيدية الأساسية التي تؤدي إلى تطوير الاحساس بالمسؤولية الأخلاقية والالتزام الشخصي، وتحفيز الأفراد على تغيير سلوكياتهم اليومية نحو ممارسات مستدامة، مثل ترشيد استهلاك الطاقة والمياه، والتقليل من النفايات، وحماية الموارد الطبيعية.

وتشير (UNESCO 2020) إلى أن الوعي البيئي ليس مجرد معرفة نظرية، بل مهارة حياتية أساسية تمكن الأفراد من المشاركة الفعالة في حماية البيئة واتخاذ قرارات مستنيرة في حياتهم اليومية. ويشمل ذلك المهارات التحليلية لحل المشكلات البيئية، والقدرة على التمييز بين الممارسات المستدامة وغير المستدامة، والمشاركة في المبادرات الجماعية مثل حملات التشجير أو حملات التوعية في المجتمع.

(Kollmuss & Agyeman, 2002) علاوة على ذلك فإن الوعي البيئي يتأثر بعدة عوامل منها:

✓ عوامل معرفية: وتتمثل في مستوى التعليم والمعرفة العلمية بالمشكلات البيئية.

✓ عوامل اجتماعية وثقافية: تتمثل في تأثير الأسرة، المدرسة، الإعلام، والمجتمع

✓ عوامل قيمية ومعتقدات الشخصية: تمثلت في مدى إدراك الفرد لمسؤولياته الأخلاقية تجاه البيئة، وهو ما يرتبط بنموذج القيم-المعتقدات-المعايير (Stern, 2000) (VBN).

وعليه يمكن القول إن الوعي البيئي يشكل قاعدة أساسية للسلوك البيئي الإيجابي، حيث يوفر للفرد الإطار المعرفي والقيمي لاتخاذ القرارات البيئية المسؤولة، ويهيئ الظروف اللازمة للانتقال من المبادرات الفردية إلى الفعل الجماعي الذي يعزز حماية البيئة واستدامتها.

4.2 العلاقة بين الإدراك البيئي والممارسة اليومية

تشير الدراسات العلمية إلى أن الإدراك البيئي يشكل المحرك الأساسي للسلوك البيئي اليومي، فهو الأساس الذي يبنى عليه الفرد مواقفه وقراراته اليومية تجاه البيئة، فالأفراد الذين يمتلكون معرفة كافية بالمشكلات البيئية ويفهمون آثار أفعالهم على الموارد الطبيعية يكونون أكثر ميلا لممارسة سلوكيات صديقة للبيئة، مثل فرز النفايات، ترشيد استهلاك المياه والطاقة، استخدام وسائل النقل العامة أو الصديقة للبيئة، والمشاركة في حملات التشجير أو التوعية البيئية (Kollmuss & Agyeman, 2002).

وتدعم نظرية السلوك المخطط (Ajzen, 1991) (TPB). هذه العلاقة حيث تفترض أن الموقف نحو السلوك يتأثر بالمعرفة والإدراك، وهو بدوره يشكل النية السلوكية التي تتنبأ بالسلوك الفعلي، بمعنى آخر كلما زاد إدراك الفرد لأهمية حماية البيئة وفهمه للعواقب المترتبة على السلوكيات الضارة، زادت احتمالية اتخاذ قرارات عملية تعكس هذا الوعي في الحياة اليومية. ويوضح نموذج القيم-المعتقدات-المعايير (Stern, 2000) (VBN)، أن الإدراك العميق للعواقب البيئية يؤدي إلى تعزيز شعور الفرد بالمسؤولية تجاه البيئة، ما يدفعه إلى السلوكيات المؤيدة للبيئة، لا سيما تلك التطوعية أو غير المنظمة رسمياً، مثل الحفاظ على نظافة المحيط، حماية النباتات والحيوانات، والمشاركة في المبادرات البيئية. ويؤكد النموذج أن العلاقة بين الإدراك والسلوك لا تكون مباشرة دائماً، بل تتوسطها القيم الشخصية والمعايير الأخلاقية، والتي تساهم في توجيه الفرد نحو سلوك مستدام حتى في غياب الحوافز أو السياسات الرسمية. وقد أظهرت الدراسات الميدانية أن الوعي البيئي المرتبط بالممارسة اليومية يتأثر بعدة عوامل من بينها:

✓ المستوى التعليمي والمعرفي للفرد، حيث يزيد التعليم البيئي من قدرة التمييز بين الممارسات المستدامة وغير المستدامة (Hungerford & Volk, 1990).

✓ الأسرة والمدرسة والإعلام حيث تلعب مؤسسات التنشئة الاجتماعية دوراً أساسياً في غرس العادات والسلوكيات البيئية.

✓ الخبرة العملية والمشاركة المجتمعية، إذ أظهرت الأبحاث أن الطلاب الذين يشاركون في أنشطة بيئية عملية، مثل تنظيف المدرسة أو حملات التشجير، يعززون وعيهم ويحولونه إلى سلوك يومي ثابت (Chawla & Cushing, 2007).

ومنه يمكن القول إن الإدراك البيئي هو الشرارة الأساسية للسلوك البيئي المؤيد للبيئة، وأن تعزيز هذا الإدراك من خلال التعليم والمشاركة الفعالة يساهم في تحويل المعرفة إلى ممارسات يومية مستدامة.

5.2: الوعي الفردي في مواجهة التحديات البيئية

على الرغم من أهمية الوعي البيئي كعنصر أساسي لتوجيه السلوك البيئي، إلا أن تأثيره غالبا ما يكون محدودا إذا لم يدعم بإطار اجتماعي ومؤسسي فعال. فالفرد وحده حتى لو امتلك معرفة واسعة بالمشكلات البيئية، قد يجد صعوبة في تحويل هذه المعرفة إلى سلوك فعلي مستدام في غياب الدعم اللوجستي والمجتمعي المناسب (Kollmuss & Agyeman, 2002). ويعرف هذا التحدي بفجوة المعرفة-السلوك، حيث لا يؤدي الإدراك البيئي وحده إلى ممارسات يومية مستدامة بالضرورة.

وتتعدد الأسباب التي تحد من فعالية الوعي الفردي من بينها:

- ✓ العادات اليومية الراسخة فالسلوكيات البيئية تتطلب تعديل روتيني، مثل تقليل استخدام السيارات الخاصة أو الحد من استهلاك المواد البلاستيكية، وهي ممارسات تتطلب جهدا واعيا مستمرا (Verplanken & Wood, 2006).
- ✓ ضعف البنية التحتية وغياب تسهيلات عملية، مثل نقاط جمع وإعادة التدوير، وسائل نقل عامة فعالة أو بنية تحتية للطاقة المتجددة، يعيق تطبيق السلوك البيئي حتى لدى الأفراد الواعين (Stern, 2000).
- ✓ الكلفة الاقتصادية أو الجهد الإضافي فإن بعض الممارسات البيئية، مثل شراء منتجات صديقة للبيئة أو استخدام الطاقة النظيفة، قد تكون مكلفة أو تتطلب جهدا، مما يثبط الأفراد عن الممارسة المنتظمة لها. (Gifford, 2011).
- ✓ غياب السياسات المحفزة حيث لا يكفي الوعي الفردي وحده إذا لم تصاحبه سياسات وتشريعات تشجع الممارسات البيئية الإيجابية، مثل دعم الطاقة المتجددة، أو فرض قوانين للحد من التلوث، إذ إن السياسات تعزز التحول من الإدراك إلى الفعل الفعلي (Steg & Vlek, 2009).

وبالتالي يمكن القول إن الوعي الفردي يشكل قاعدة ضرورية لكنه غير كاف لمواجهة التحديات البيئية المعقدة. فالتحول من الإدراك إلى الممارسة يتطلب تضافر الجهود على المستوى الجماعي والمؤسسي، من خلال تفعيل سياسات داعمة، وتطوير بنية تحتية تسهل الممارسات البيئية المستدامة (Kollmuss & Agyeman, 2002 ; Stern, 2000). وعليه فإن الدراسات الحديثة تشير إلى أن الوعي الفردي يجب أن يدمج ضمن شبكة من العوامل المعرفية، القيمية والتحفيزية، بما يتيح للأفراد اتخاذ قرارات بيئية مستدامة، وتحويل المبادرات الفردية إلى سلوك جماعي منظم قادر على تحقيق تأثير ملموس

3. من الوعي الفردي الى الفعل الجماعي

1.3 العمل الجماعي في القضايا البيئية

تشير الدراسات الحديثة إلى أن القضايا البيئية تتسم بالطابع الجماعي وتتطلب جهودا منسقة تتجاوز قدرة الفرد وحده لا سيما في مواجهة تحديات معقدة مثل تغير المناخ. (IPCC, 2023) فالمشكلات البيئية عادة ما تكون مشتركة ومتداخلة، ما يجعل الحلول الفردية غير كافية لتحقيق التأثير المطلوب، ويستوجب تعزيز آليات التعاون والتنسيق بين مختلف الأطراف. ويؤكد (Ostrom 2010) في نظرية إدارة الموارد المشتركة على أن حماية البيئة تعتمد على التعاون بين الأفراد والمؤسسات والسلطات، حيث تعتبر الموارد البيئية "سلعا مشتركة" لا يمكن إدارتها بشكل فعال عبر السلوك الفردي فقط. وتشير النظرية إلى أن إدارة الموارد المشتركة تتطلب عناصر أساسية من بينها:

✓ تقاسم المسؤولية إذ يتحمل الأفراد والجماعات مسؤولية الحفاظ على الموارد الطبيعية، ما يعزز شعور الالتزام الجماعي تجاه البيئة (Ostrom, 2010).

✓ توحيد الجهود إذ أن تنسيق السلوكيات الفردية ضمن إطار جماعي يسمح بتحقيق أثر مضاعف مقارنة بالجهود المنفردة (Berkes, 2009).

✓ تعزيز المعايير الاجتماعية المساندة للسلوك البيئي إذ تلعب القيم والمعايير الاجتماعية دوراً في تحفيز الأفراد على المشاركة الفعالة في المبادرات البيئية الجماعية، حيث أن الممارسة الجماعية تبني ثقافة مستدامة وتدعم الالتزام طويل المدى (Thøgersen, 2012).

ان الدراسات تؤكد على ان العمل الجماعي لا يقتصر على تنسيق الأفعال، بل يشمل مشاركة المعرفة، تبادل الموارد، وتعزيز قدرات المجتمع على مواجهة المشكلات البيئية، بما يحقق تكامل الجهود الفردية في سياق جماعي. (Pretty & Ward, 2001) ويعزز هذا النهج مفهوم التنمية المستدامة القائمة على المشاركة، حيث تصبح حماية البيئة مسؤولية مشتركة وليست عبئاً فردياً.

ومنه فإن التحول من المبادرات الفردية إلى الفعل الجماعي يمثل خطوة محورية لتحقيق نتائج ملموسة ومستدامة على مستوى البيئة، حيث يتكامل الوعي الفردي مع السياسات، المعايير الاجتماعية، والمؤسسات الداعمة لإحداث تأثير شامل ومستدام.

2.3 دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية

تلعب مؤسسات التنشئة الاجتماعية من خلال الأسرة والمدرسة والإعلام، دوراً أساسياً في تشكيل الوعي والسلوك البيئي لدى الأفراد، فهي تعمل على غرس القيم والممارسات المستدامة منذ المراحل الأولى من الحياة، وتدعم الانتقال من المبادرات الفردية إلى الفعل الجماعي.

● الأسرة: تعتبر الأسرة أول بيئة اجتماعية يتعرض لها الطفل، حيث يكتسب من خلالها المعتقدات والقيم والسلوكيات المتعلقة بالبيئة، مثل الترشيد في استهلاك الموارد والحفاظ على النظافة، والاحترام العام للطبيعة، وتشير دراسة (Evans et al, 2007) إلى أن الأطفال الذين ينشؤون في أسر تمارس سلوكيات مؤيدة للبيئة يظهرون ميلاً أكبر لتبني ممارسات بيئية مماثلة في حياتهم اليومية. كما أن دعم الأهل للمبادرات البيئية، مثل تشجيع إعادة التدوير أو المشاركة في الأنشطة الاجتماعية، يعزز من قدرة الأطفال على تطبيق المعرفة البيئية في سياق عملي، ويؤسس للوعي البيئي كجزء من هوية الفرد (Chawla, 2007).

● المدرسة: تلعب المدارس دوراً في تطوير وعي بيئي علمي ومهارات عملية. فقد أكدت اليونسكو (UNESCO, 2017) أن التربية البيئية المدرسية تمثل حجر الأساس لتكوين مواطنين قادرين على المشاركة الفاعلة في التنمية المستدامة، وتشمل مساهمة المدرسة في تعزيز السلوك البيئي ما يلي:

✓ بناء الوعي العلمي من خلال تعليم الطلاب الأنظمة البيئية، الموارد الطبيعية، والمشكلات البيئية.

✓ غرس القيم البيئية عبر تعزيز مفاهيم المسؤولية والالتزام الأخلاقي تجاه البيئة.

✓ خلق مبادرات جماعية مثل النوادي البيئية، حملات التشجير، أو المشاريع المدرسية التي تشجع على العمل الجماعي وممارسة السلوكيات البيئية العملية (Tilbury, 1995; Chawla & Cushing, 2007).

ومنه فإن المدرسة يمكن أن تكون محفزا قويا للوعي الجماعي، حيث تعمل على ربط المعرفة بالعمل الملموس، مما يساهم في تحفيز الطلاب على المشاركة في مبادرات بيئية على مستوى المجتمع المحلي.

• الإعلام: يعتبر الإعلام وسيلة رئيسية لنقل المعلومات البيئية وتعزيز السلوكيات الإيجابية، إذ يساهم في رفع مستوى المعرفة، وتشكيل المواقف، وتعزيز الشعور بالخطر والمسؤولية تجاه البيئة. وأوضحت دراسة (Dunlap & McCright, 2015) (أن الإعلام له دور في زيادة الوعي بالمشكلات البيئية العالمية والمحلية، وبالتالي تعزيز المشاركة المجتمعية في حماية البيئة، ويساهم الإعلام في ترويج السلوكيات المستدامة، مثل استخدام الطاقة النظيفة، الحد من النفايات، من خلال حملات توعية، أفلام وثائقية، أو محتوى رقمي تفاعلي (Boykoff, 2008).

وعليه فالوعي والسلوك البيئي لا يتشكلان بمعزل عن البيئة الاجتماعية، بل يتأثران بشكل قوي بمؤسسات التنشئة الاجتماعية، التي تعمل على تعزيز المبادرات الفردية وتحويلها إلى فعل جماعي منظم ومستدام، مما يعزز قدرة المجتمع على مواجهة التحديات البيئية المعقدة.

3.3 السياسات والقوانين

تلعب السياسات والقوانين دور في تحويل الوعي الفردي والجماعي إلى أفعال بيئية ملموسة، حيث توفر الإطار القانوني والمؤسسي الذي يضمن الالتزام بالسلوكيات المستدامة ويعزز تأثير المبادرات الفردية والجماعية. فالقوانين واللوائح، مثل تشريعات حماية البيئة، تنظيم إدارة النفايات، وحماية الموارد الطبيعية، تعمل على توحيد الجهود وتوجيهها نحو أهداف مشتركة، بما يحقق الأثر الإيجابي الأوسع على البيئة والمجتمع (Steg & Vlek, 2009). فتشير الدراسات إلى أن غياب الإطار القانوني يمكن أن يحد من فعالية المبادرات الفردية والجماعية، إذ تصبح الجهود غير منظمة وغير مستدامة، بينما توفر السياسات حوافز وتشجيعات، مثل الدعم المالي للممارسات المستدامة أو العقوبات على المخالفين، مما يزيد من قدرة المجتمع على تحقيق التغيير الفعلي (Gifford, 2011).

إن السياسات والقوانين البيئية لا تعمل بمعزل عن مؤسسات المجتمع، بل تتكامل مع الأسرة، المدرسة، والإعلام لتعزيز الالتزام بالسلوكيات البيئية. فالتشريعات المدعومة بالتوعية والتعليم والمشاركة المجتمعية تؤدي إلى تشكيل ثقافة مؤسسية مستدامة، حيث يلتزم الأفراد والجماعات بالقيم والمعايير البيئية على نحو تلقائي ومستمر (UNEP, 2019). مثل برامج التشجيع على الاقتصاد في استهلاك الطاقة أو إدارة النفايات المنزلية المدعومة بسياسات محلية أو وطنية، والتي أظهرت نجاحا كبيرا في تحويل المبادرات الفردية إلى ممارسات جماعية مستدامة، وتعزيز الوعي بالمسؤولية البيئية المشتركة (OECD, 2020). وبالتالي يمكن القول إن السياسات والقوانين تمثل أداة أساسية لدعم الفعل الجماعي البيئي، إذ تضمن أن الوعي الفردي والمبادرات المجتمعية تتكامل ضمن إطار مؤسسي قادر على مواجهة التحديات البيئية المعقدة.

ومنه نصل إلى تحليل نتائج هذه الدراسة في ضوء النموذج المفاهيمي المتكاملة للسلوك البيئي يوضح أن السلوك البيئي لدى الأفراد ليس نتيجة نموذج واحد فقط، بل ينشأ عن تفاعل دينامي بين النماذج المعرفية، القيمية، التحفيزية، إدراك المخاطر، والاعتبارات الاجتماعية. فالنموذج المعرفي المرتبط بنظرية السلوك المخطط (TPB) يمثل نقطة الانطلاق الأساسية،

حيث إن زيادة الوعي بالمشكلات البيئية وإدراك الأفراد لقدرتهم على التحكم في سلوكهم يعزز النية السلوكية الإيجابية، مما يجعل السلوك البيئي تصرفاً عقلاً قائماً على التقييم الواعي للمواقف البيئية (Ajzen, 1991).

من جانب آخر يشكل النموذج القيمي الأخلاقي، كما تفسره نماذج تفعيل المعايير (NAM) ونظرية القيم والمعتقدات والمعايير (VBN) قوة دافعة داخلية تعزز الالتزام البيئي، إذ يبرز إدراك العواقب البيئية والشعور بالمسؤولية الأخلاقية كعاملين أساسيين في تحويل الوعي إلى ممارسة فعلية، خصوصاً لدى الأفراد ذوي القيم البيئية المتجذرة (Stern, 2000; Kollmuss & Agyeman, 2002). أما النموذج التحفيزي أو الوقائي وفق نظرية دافع الحماية (PMT)، فإنه يفسر السلوك البيئي الوقائي الذي ينشأ عن إدراك المخاطر، فيؤدي تقييم خطورة التهديدات البيئية وتقدير القدرة على مواجهة هذه المخاطر إلى تعزيز الميل نحو تبني إجراءات وقائية (Rogers, 1983).

وفيما يتعلق بالنموذج الإطارى والدافعية المرتبط بنظرية تأطير الأهداف (GFT)، فقد أظهرت الدراسة أن الدوافع وراء السلوك البيئي متنوعة، فبعض الأفراد يتأثرون بأهداف تعظيم المكاسب الاقتصادية أو ترشيد الموارد، بينما يحفز آخرون هدف اللذة لتحقيق الراحة النفسية أو تجنب الشعور بالذنب، في حين يتجه جزء آخر نحو السلوك البيئي بدافع معياري مرتبط بالقيم والمعايير الاجتماعية (Steg & Vlek, 2009).

وبدمج هذه النماذج يتضح أن السلوك البيئي عملية معقدة ومتعددة المستويات، تبدأ بالوعي الفردي لكنها لا تتحقق إلا من خلال تفاعل القيم الأخلاقية، الدوافع الشخصية، إدراك المخاطر، والمعايير الاجتماعية. أي الانتقال من المبادرات الفردية إلى الفعل الجماعي البيئي المستدام يتطلب تعزيز القيم الاجتماعية، دعم السياسات البيئية، وتوسيع برامج التربية البيئية لضمان تحويل النوايا الفردية إلى ممارسات جماعية منظمة.

4. خاتمة

يشكل الوعي الفردي حجر الزاوية في بناء السلوك البيئي الإيجابي، إذ ينبع من إدراك كل فرد لأهمية البيئة وتأثير أفعاله اليومية على الموارد الطبيعية والنظام البيئي، سواء من خلال تقليل النفايات، ترشيد استهلاك الطاقة والمياه، أو تبني عادات صديقة للبيئة في الحياة اليومية. هذا الوعي رغم أهميته، لا يظل فاعلاً إلا إذا ترافق مع التطبيق العملي للمبادرات الفردية، فالوعي وحده لا يكفي دون الممارسة العملية التي تعكس فهم الفرد لمسؤولياته تجاه البيئة.

وعندما تتحول هذه المبادرات الفردية مثل التشجير، إعادة التدوير، المشاركة في حملات النظافة أو نشر الوعي البيئي بين المحيط الاجتماعي إلى سلوك جماعي متضافر، فإن تأثيرها يتضاعف ويصبح قادراً على إحداث تغييرات بيئية واجتماعية ملموسة. فالفعل الجماعي لا يكتفي بحماية الموارد البيئية، بل يسهم أيضاً في ترسيخ ثقافة الاستدامة، حيث تصبح الممارسات البيئية جزءاً من القيم الاجتماعية المشتركة، وتنتقل من كونها خيارات فردية إلى مسؤوليات جماعية.

وبالتالي فإن الانتقال من الوعي الفردي إلى الفعل الجماعي ليس مجرد عملية تراكمية، بل هو استراتيجية ضرورية لضمان تحقيق التنمية البيئية المستدامة، إذ يربط بين المعرفة والفعل والمجتمع، ويحول الانتباه البيئي الفردي إلى تغييرات ملموسة على مستوى المجتمع ككل، بما يضمن حماية البيئة وصونها للأجيال الحالية والمستقبلية. هذا التحول يعكس أيضاً قدرة المجتمعات على الاستجابة للتحديات البيئية المعاصرة، ويؤكد أن الاستدامة البيئية هي نتيجة تفاعل متكامل بين الوعي الفردي والمسؤولية الجماعية.

5. قائمة المراجع:

- الراوي، س. م. (2006). *نحو حملة وطنية لتحقيق محو الأمية البيئية. البيئة والحياة*، مجلد 4، أيار.
- الفسفوس، ع. أ. (2006). *أساليب تعديل السلوك الإنساني. السلسلة الإرشادية ط. 2*. فلسطين: المكتبة الإلكترونية أطفال الخليج.
- خضرية سعيد المبروك. (د س). *التوعية البيئية في الصحافة الليبية*. رسالة ماجستير، قسم الإعلام، جامعة قار يونس، ص. 123.
- حنان، أ. ض. (2013). *السلوك البيئي في مرحلة المراهقة وعلاقته بالعجز المتعلم ومهنة المستقبل (لدى عينة من الطلبة في محافظة دمشق)*. رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في علم النفس النمو، جامعة دمشق.
- دويدري، ر. و. (2004). *البيئة: مفهومها العلمي المعاصر وعمقها الفكري التراثي*. دمشق: دار الفكر.
- صالحه، ش. أ. ع. (2012). *بعض القيم الاجتماعية وعلاقتها بالسلوك البيئي: دراسة ميدانية لعينة من طلبة جامع بنغازي بمدينة بنغازي (دراسة ماجستير)*. جامعة بنغازي.
- ليلي، أ. ك. (2004). *استخدام المشروعات البيئية في تنمية سلوكيات إيجابية نحو البيئة لتلاميذ الصف الأول من التعليم الأساسي*. مجلة العلوم البيئية، العدد 4، 1362.
- Ajzen, I. (1991). *The theory of planned behavior*. Organizational Behavior and Human Decision Processes, 50(2), 179–211.
- Burkes, F. (2009). *Evolution of co-management: Role of knowledge generation, bridging organizations and social learning*. Journal of Environmental Management, 90(5), 1692–1702.
- Boykoff, M. T. (2008). *Lost in translation? United States television news coverage of anthropogenic climate change, 1995–2004*. Climatic Change, 86(1-2), 1–11.
- Chawla, L. (2007). *Childhood experiences associated with care for the natural world: A theoretical framework for empirical results*. Children, Youth and Environments, 17(4), 144–170.
- Chawla, L., & Cushing, D. F. (2007). *Education for strategic environmental behavior*. Environmental Education Research, 13(4), 437–452.
- Dunlap, R. E., & McKnight, A. M. (2015). *Challenging climate change: The denial countermovement*. In R. E. Dunlap & R. J. Brule (Eds.), *Climate change and society: Sociological perspectives* (pp. 300–332). Oxford University Press.
- Evans, G. W., Brauchle, G., Haq, A., Stecker, R., Wong, K., & Shapiro, E. (2007). *Young children's environmental attitudes and behaviors*. Environment and Behavior, 39(5), 635–660.

- Gifford, R. (2011). The dragons of inaction: *Psychological barriers that limit climate change mitigation and adaptation*. *American Psychologist*, 66(4), 290–302.
- Hungerford, H. R., & Volk, T. L. (1990). Changing learner behavior through environmental education. *Journal of Environmental Education*, 21(3), 8–21.
- IPCC. (2023). *Climate Change 2023: Synthesis Report*. Intergovernmental Panel on Climate Change.
- Koll muss, A., & Agyeman, J. (2002). *Mind the gap: Why do people act environmentally and what are the barriers to pro environmental behavior?* *Environmental Education Research*, 8(3), 239–260.
- OECD. (2020). *Environmental performance reviews: Policies for a sustainable future*. *Organization for Economic Co-operation and Development*.
- Ostrom, E. (2010). *Governing the commons: The evolution of institutions for collective action*. *Cambridge University Press*. *Journal of Consumer Policy*, 35,
- Pretty, J., & Ward, H. (2001). *Social capital and the environment*. *World Development*, 29(2), 209–227.
- 22- Stern, P. C. (2000). *Toward a coherent theory of environmentally significant behavior*. *Journal of Social Issues*, 56(3), 407–424.
- Thøgersen, J. (2012). *From knowledge to action – New paths towards sustainable consumption*. *Journal of Consumer Policy*, 35, 1–8.
- Tilbury, D. (1995). *Environmental education for sustainability: Defining the new focus of environmental education in the 1990s*. *Environmental Education Research*, 1(2), 195–212.
- Rogers, R. W. (1983). *Cognitive and physiological processes in fear appeals and attitude change: A revised theory of protection motivation*. In J. Cacioppo & R. Petty (Eds.), **Social psychophysiology: A sourcebook** (pp. 153–176). New York: Guilford Press.
- UNEP. (2019). *Global Environment Outlook – GEO-6: Healthy Planet, Healthy People*. United Nations Environment Program.
- UNESCO. (2020). *Education for Sustainable Development:.* United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization.
- Verplanken, B., & Wood, W. (2006). *Interventions to break and create consumer habits*. *Journal of Public Policy & Marketing*, 25(1), 90–103